العرب
الجمعة 2019/07/26
السنة 42 العدد 11419

من هو الجهادي الفرنسي؟

التطرف مسلك طويل محفوف بمنعرجات اجتماعية صعبة

من هو الجهادي الفرنسي؟ في أي ظروف اجتماعية عاش؟ ما هو تحصيله الدراسي؟ ما هو معدل عمره؟ تلك الأسئلة وغيرها التي كثيرا ما طرحت وتطرح على صفحات الجرائد وفي منابر القنوات التلفزيونية الفرنسية والدولية، حاولت أن تجيب عنها دراسة تحت عنوان "137 فرقا دقيقا/ جهاديو فرنسا أمام العدالة"، نشرها المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية عبر التدقيق في معدل عمر الجهادي، جنسه، أصوله الاجتماعية، مستوى تعليمه ومساره المهني.

حميد زناز
كاتب جزائري
مقيم في فرنسا

باريس – يعتبر العمل الذي أنجزه الباحث في المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية، مارك هيكر، عبارة عن أول رسم تشبيهي مفصل للجهادي الفرنسي. كان نتيجة لفحصه لمسار 137 متورطا تم الحكم عليهم بتهمة الإرهاب الجهادي في فرنسا ما بين 2004 و2017. ويخرج من الدراسة بشكل عام أنه "شاب في السادسة والعشرين من العمر، ولد في حي فقير، لا يملك أي شهادة ومعروف بجنوحه".

يقول الباحث: تتوفر في رضوان لقديم صفات غالبية الأشخاص الذين حوكموا في فرنسا في القضايا المتعلقة بالإرهاب؛ قتل 4 أشخاص في كاركسون وتريب يوم 23 مارس 2018، المولود بالمغرب والذي يعيش مع والديه وأخواته في أحد الأحياء الصعبة الفقيرة والذي كان حين ارتكب الجرم في بطالة. كما أمضى مدة في السجن خلال 2016 بسبب استهلاكه للمخدرات وعدم امتثاله لأوامر الشرطة. بكلمة واحدة، هو جانح صغير من جانحي الأحياء تحوّل إلى إرهابي إسلاموي دموي.

> **40**
> بالمئة من المتطرفين سبق وأن صدرت في حقهم أحكام قضائية بسبب العنف، السرقة والاحتيال

يكتب الباحث أنه بدأ يعيد النظر في مقولة غياب عوامل مشتركة بين الإرهابيين ابتداء من منتصف سنة 2016 وعلى الخصوص بعد العمليات الإرهابية المرتكبة على الأراضي الفرنسية حيث لاحظ كثيرا من الخصائص المشتركة بين الإرهابيين المتورطين في تلك الهجمات.

بالنسبة لمسألة الجنس والعمر، تبيّن من هذه العينة أن هؤلاء المتطرفين يبلغون من العمر 26 عاما في المتوسط وقت توجيه الاتهام إليهم، وأنهم رجال في معظم الحالات إذ هناك 6 نساء فقط من بين 131 ذكرا. أما عن وضع هؤلاء الجهاديين الاجتماعي فأغلبهم قد عاش مسارا اجتماعيا صعبا. في 90 بالمئة من الحالات، يقول التقرير، نجد أن هؤلاء الجهاديين قد ولدوا في عائلات متكونة من عدد كبير من الأفراد وفي بعض الحالات يكون العدد كبيرا جدا، كما تكون عائلاتهم مفككة في غالب الأحيان. و40 بالمئة منهم ينحدرون من أحياء فقيرة مهمشة في ضواحي المدن الفرنسية الكبرى والمتوسطة وحتى الصغيرة منها أحيانا.

جمع الباحث معلومات في ما يخص المستوى الدراسي لثمانية وستين من المحكوم عليهم، فوجد أن نصفهم تقريبا أي 32 منهم لا يملكون أدنى شهادة دراسية، و8 منهم فقط قد زاولوا تعليما عاليا، أحدهم مهندس وآخر متحصل على دكتوراه في فيزياء الجزيئات.

كما لاحظ الباحث أن وضعية هؤلاء المهنية مزرية، فالبطالة متفشية بينهم إذ وصلت إلى 36 بالمئة، بينما يجد 22 بالمئة منهم أنفسهم يحتلون مناصب شغل هشة غير مستقرة. ومع ذلك، فأكثر من نصفهم لا يعيشون لوحدهم منعزلين بل هم إما متزوجون وإما يعيشون في علاقات حرة.

ومن ناحية علاقة المدروسين بالعدالة قبل تورطهم في الإرهاب الجهادي عمليا، تبين أن 40 بالمئة منهم قد سبق وأن صدر في حقهم حكم قضائي على الأقل مرة واحدة بسبب العنف، السرقة، الاحتيال، المتاجرة بالمخدرات أو الجنح المرورية. أما البقية، فليست لهم سوابق عدلية ولكن 12 بالمئة منهم قد سبق وأن تم الإبلاغ عنهم لمصالح الشرطة.

69 بالمئة من العينة المدروسة هم فرنسيون و22 بالمئة هم من مزدوجي الجنسية. و59 بالمئة منهم من عائلات منحدرة من المغرب العربي. و74 بالمئة هم مسلمون بالولادة و22 بالمئة من معتنقي الديانة الإسلامية الجدد.

ولكن كيف تطرّف هؤلاء؟ ما هي العوامل التي جعلتهم ينحرفون عن المنهج الجمهوري الذي تربوا فيه؟ لم يتمكن معدّ الدراسة من الاعتماد سوى على المعطيات الخاصة بـ39 من العينة المدروسة وقد توصل من خلالها إلى أن التطرف لا يحصل هكذا بين ليلة وضحاها وإنما هو مسلك طويل المدى نسبيا، فنسبة 30 بالمئة من هؤلاء قد دام طريقهم نحو التطرف عدة سنوات. ولم تقف الدراسة على حالة واحدة من بين 131 مما يسمى في الإعلام الفرنسي بـ"الذئب المعزول"، وإنما صورت هؤلاء الجهاديين على أنهم أشخاص غالبا ما يسترشدون بديناميكية المجموعة التي يكونون ضمنها في الحي كالأشقاء أو الأصدقاء الذين يعرفون بعضهم منذ أيام الدراسة. وأسوء مثال هم الإخوة تاغي من مدينة تراب، قرب باريس: إثنان قُتلا في سوريا والثالث محكوم عليه بخمس سنوات سجنا.

ووفقا للدراسة فالإنترنت لا تكفي وحدها في عملية التطرف الديني، فهي تسمح فقط بتنظيم اللقاءات والتواصل وتحضير العمليات الإرهابية. عن الثقافة الدينية لهؤلاء يقول الكاتب إنها هزيلة مقارنة بالذين سبقوهم في بداية العشرية الأولى لسنة 2000 ولكن لا ينفي أن يكون بين الجماعات الحالية فرد متميز عن رفقائه بمعارفه الدينية.

وتعيد الدراسة النظر في بعض الأحكام الجاهزة كالاعتقاد بأنه من الممكن أن يتحول شخص ما إلى جهادي بين عشية وضحاها. وكثيرا ما يستعمل الإعلام الفرنسي كلمة "انقلاب" والتي قد توحي بأن بعض الإطلالات على الكمبيوتر أو الهاتف النقال كافية ليصبح جهاديا بينما قد يستمر التحول إلى التطرف 6 أشهر أو سنة أو عدة سنوات. ومن دراسة 39 ملفا تبين أن 30 بالمئة تطلب تطرفهم سنوات عديدة وفقط 17 بالمئة تطرفوا خلال بضع شهور.

كما فندت الدراسة عدم مشاركة النساء الفعالة في الجهاد إذ بينت أن عددهن الضئيل لا يعني أنهن بعيدات عن الالتزام الجهادي وإنما مرد ذلك هو ميل السلطات الفرنسية الإدارية والقضائية في السابق إلى عدم متابعة النساء المتورطات في العمليات الإرهابية واعتبارهن ضحيات في حين أنهن لعبن دورا كبيرا في تطرف أزواجهن. وحسب بعض التقديرات فإن ثلث الفرنسيين الذين التحقوا بداعش في سوريا والعراق فرنسيات.

وحتى لو تحفظت الدراسة عن ذكر مصدر التطرف الأساسي لأسباب سياسوية فتبقى المساجد والمراكز الإسلامية التي يشرف عليها الإخوان والسلفيون هي بيت الداء الأصولي والجهادي.

التهميش يغذي الفكر المتطرف

سجون ومخيمات مزدحمة بدواعش أوروبا

برلين – مازالت مواقف الدول الأوروبية بشأن استعادة الإرهابيين الذين قاتلوا في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية، غير واضحة، إذ يشير تشبثها بوجوب تركيز محكمة دولية خارج الأراضي الأوروبية إلى تواصل إصرارها على رفض استقبال مواطنيها من مقاتلي التنظيم المتطرف.

ورغم أن موقف المفوضية الأوروبية كان واضحا ومطالبا بإعادة المقاتلين إلى بلدانهم الأوروبية وأصبح ملزما، إلا أن القرار يبقى متروكا بسبب تعلل جل الدول الأوروبية بأنها تحتاج إلى وقت لجمع الأدلة والشواهد والبيانات والفحوصات الجنائية ومعالجة كل ملف على حدة.

وتكتفي الدول الأوروبية في الوقت الراهن باستعادة بعض الأطفال دون سن العاشرة من سوريا والعراق، وتبدو قوات سوريا الديمقراطية قد أدركت الإجراءات الأوروبية الانتقائية في عودة أطفال عناصر داعش، وفرضت شروطها خلال شهر يوليو 2019، أنه لا يمكن عودة الأطفال دون أمهاتهم، محاولة إجبار الأوروبيين على استعادة نساء داعش.

وتشير التقديرات إلى أن دول أوروبا تستبعد أن تقع تحت ضغوط قوات سوريا الديمقراطية وأن موقفها تجاه المقاتلين الأجانب لن يتغير، وهذا ما بات مرجحا. موقف دول أوروبا ممكن اعتباره موقفا سياسيا، أكثر من أن يكون لأسباب فنية.

ووفق العديد من الخبراء فإن ما تخشاه دول أوروبا، رغم إمكانياتها وقدراتها الاستخباراتية، أن عودة مقاتلي داعش، ممكن أن تكون مصدرا جديدا لنشر الفكر المتطرف والعنف.

هذا الرفض الأوروبي، بحث في أسبابه وتفاصيله المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات بقيامه في تقرير صادر عنه بجرد وإحصاء لأعداد المقاتلين الأوروبيين العائدين والمحتجزين في سوريا والعراق.

ويرتكز التقرير على ما صرح به وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان الذي أعلن أن نحو 450 فرنسيا من تنظيم داعش محتجزون لدى الأكراد أو يقبعون في مخيمات للاجئين شمال شرقي سوريا. وتحتجز السلطات العراقية 25 امرأة وطفلا كما يوجد هناك أكثر من 100 مقاتل فرنسي في منطقة إدلب.

أما في ألمانيا فقد ذكرت وزارة الخارجية في 10 يوليو 2019 أنها تدرس حكم محكمة برلين الإدارية بإعادة ثلاثة أطفال من أسر قاتلت في صفوف داعش مع أمهاتهم متواجدين حاليا في المخيمات الكردية.

وسجلت السلطات الألمانية 118 عضوا، ألماني في تنظيم داعش، معتقلون في الخارج. 77 منهم يقبعون في سجون بسوريا و8 في العراق وآخرون في تركيا. فيما فقدت آثار نحو 160 منهم.

وقد سبق لوزير الخارجية الألماني هايكو ماس في 8 يونيو 2019 أن أعلن أنه على أي حال فإن المهمة حتمية حاليا للحيلولة دون بناء داعش لهياكل جديدة في الخفاء يكون من خلالها قادرا على النشاط مجددا... "نريد ويتعين علينا منع ذلك".

ودعا ماس في مايو 2019 وكيل وزارة الداخلية الألماني شتيفان ماير إلى دراسة تأسيس محكمة خاصة لمحاكمة مقاتلي تنظيم داعش من حاملي جنسية ألمانيا.

وبشأن البلجيكيين، فإن أعداد المرتبطين بداعش والذين مازالوا في العراق وسوريا فمن بينهم 55 في السجن أو في مخيمات تقع تحت سيطرة القوات الكردية، منهم 17 امرأة و28 طفلا، ويقول خبراء إن عدد الأطفال تضاعف خلال ستة أشهر. والعائدون 123 شخصا.

وبخصوص بريطانيا، يقبع ما يقارب 27 مواطنا بريطانيا في سجون قوات سوريا الديمقراطية والعراق، وأكدت عدة تقارير وجود 18 بريطانيا في سجون العراق.

وترفض بريطانيا استقبال تسعة من مواطنيها محتجزين في سوريا، حيث قالت صحيفة "تليغراف" إن المملكة المتحدة ترفض استقبال ما لا يقل عن تسعة بريطانيين محتجزين في سوريا كانوا على صلة بـ"تنظيم الدولة" من بينهم امرأتان لم يتم التعرف عليهما صحبة أطفالهما، وعنصران اثنان.

وفي هولندا، ترجح وكالة الاستخبارات الهولندية وفق تقرير المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات مغادرة 315 هولنديا إلى سوريا أو العراق بغرض الانضمام للمتشددين وتقول إن نحو ثلثي هذا العدد من الرجال والثلث من النساء، وإن 55 منهم عادوا إلى هولندا بينما لقي 85 حتفهم في مناطق الصراع وظل 135 في سوريا والعراق، بينما ينتشر 40 آخرون في دول أخرى. كما يوجد 175 طفلا، ممن لهم حق الحصول على الجنسية الهولندية، موجودون في سوريا حاليا.

> **ما تخشاه أوروبا، أن تكون عودة مقاتلي داعش، مصدرا جديدا لنشر الفكر المتطرف والعنف**

ويخلص التقرير أيضا إلى إحصاء أعداد مقاتلي داعش الأوروبيين وذويهم العائدين من سوريا والعراق، في ما يخص فرنسا عاد 398 مقاتلا بينهم 68 طفلا و43 امرأة.

أما في ألمانيا فقد عاد 303 دواعش بينهم 13 طفلا و35 امرأة. وفي بريطانيا تم استقبال 425 مواطنا بينهم 4 أطفال وامرأتان.

ومن جانبها استرجعت بلجيكا 123 مقاتلا منهم 18 طفلا و26 امرأة. وفي هولندا عاد 60 مقاتلا بينهم 10 أطفال و17 امرأة.

وصرحت ناتاشا بيرتو ممثلة المفوضية الأوروبية بأن أجهزة حماية القانون التابعة لدول الاتحاد الأوروبي تعتبر ملزمة بشكل مباشر بإقرار إمكانية عودة مواطنيها الذين شاركوا في العمليات العسكرية في سوريا بصفتهم عناصر مسلحة في صفوف تنظيم داعش.

أوروبا تصر على رفض عودة الدواعش

ندوات

مؤتمر دولي يناقش دراسات القرآن في طنجة

عبدالعزيز جدير

طنجة (المغرب) – يعتبر النص القرآني مرجعا لبعض التشريع في كثير من الدول . وكل نص يفتح الباب لتأويلات لا تنتهي. بعض هذه القراءات يلتصق بالنص، وبعضها الآخر يروم منطقة العقل في قراءة النص.

ولأن اللحظة الراهنة في تاريخ المسلمين تعتبر حرجة في ظل الصراعات المختلفة التي يعرفها العالم، والشرق جزءا منها أو بعض قلبها، فإن كل ندوة تحملت بعض الجديد أو تصحح بعض المفاهيم تعتبر إضافة نوعية للتنوير.

وفي هذا الإطار، تحتضن جامعة "نيو إنغلند" بمدينة طنجة (شمال المغرب)، ومنتدى طنجة الدولي المؤتمر الدولي الثالث للقرآن من تنظيم الجمعية الدولية للدراسات القرآنية، وذلك يومي 25 و26 يوليو 2019.

ومن محاور الندوة قراءة القرآن في الإمبراطورية، أي على امتداد تاريخ الإمبراطورية منذ عصر الخلفاء الراشدين، فالعصر الأموي، فالعباسي، ثم خلال العصر الحديث في كل من تركيا وبلاد فارس وأفريقيا وأوروبا.. ويشارك في المؤتمر باحثون من كل بقاع الأرض، وتقدم العروض باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية.

من بين العروض التي قدمت صباح الخميس في جلسة "القرآن، والإمبراطوريات، والأباطرة" "القرآن والدولة" (فريد دونر)، و"نابليون قارئا للقرآن" (جون تولان)، و"القرآن الكريم بين الهنود والتيموريين" (غولفيشان خان).. وهي جلسة تقدم عروضها باللغة الإنكليزية. أما حصة الزوال ومحورها "الديانات الأخرى"، فتقدم عروضها باللغة العربية ومنها "سريانية القرآن وقريانية محمد عند الفرنسي كلود جيليو" لأنيسة الگرگاري، و"كتاب القرآن: الاتصال والانفصال بالكتاب المقدس" لصابر محمد، و"الديانة الصابئية في القرآن وتطبيق أصولها الثلاثة–التوحيد، والمعاد، والنبوة بالقرآن" لباهادور غيام، و"علاقة القرآن بالكتب السابقة من خلال مفهوم النسخ لـ'غوبيوجونفييف'" لربيع الهاشمي النقري.

وفي اليوم الثاني من الندوة (26 يوليو 2019)، تقدم الجلسة الأولى الخاصة بالتفسير والترجمة باللغة الإنكليزية. ويلقي خلالها محمد الظفر عرض "التفسير ونزاع الإمبراطوريات في القرن الرابع عشر: الصبح في كشاف الزمخشري"، وإينو دانگو "تحرير المعجزات من البعد الأسطوري في القرآن: ترجمة محمد أسعد العقلانية والتأويل"، ومحمد المعلم "دراسة مصطلحية: طريقة تفسيرية جديدة في المغرب"، وبيتر ريدل "علامات الوحي بحسب البغوي". وفي الآن ذاته، صباحا، تقام جلسة أخرى محورها "التفسير وقضايا موضوعاتية" باللغة العربية، ويقدم خلالها حسن بزينية عرضا بعنوان "ترجمة القرآن ومنازع التأويل: ترجمة بلاشير لسورة النجم أنموذجا"، ومونيا العلمي "انتجنسيا المناهج التفسيرية بشمال أفريقيا من التأصيل إلى التحديث–تونس أنموذجا"، وعلي فتحي "معيارية تفسير القرآن وتحدياتها"، وفيصل نعيم "المظاهر الفنية بالمخطوطات القرآنية المحفوظة بالجزائر–بين الطراز المغربي والطراز العثماني".

وتتخذ جلسة المساء محورا لها "القرآن وتقاليد أخرى"، ويفتتح عرض هولغرزلانتين "القانون القرآني والجدل الحاخامي المناهض" الجلسة، ويليه عرض بريس فادج "ندبة أوديسيوس ومحاكمة إبراهيم"، ثم عرض مورغان دايفيس تحت عنوان "قصص العقاب في الكتاب المقدس، والقرآن، وكتاب المورمون".

وتتخذ الجلسة الأخيرة محورا لها "قضايا موضوعاتية ولاهوتية"، وتقدم خلالها مداخلات من بينها "التمثيل المضاعف للقراءات غير الكنسية في المخطوطات الأولى: دراسة في الكتب العربية بالمكتبة الوطنية الفرنسية (329d)" لمريجن فان بوتن، و"الرثاء الإلاهي والتوبة في القرآن" لغابرييل راينولدز، و"ملاحظات عن قصص علم العقاب في القرآن".. وغيرها من العروض.